لقاء "بدء السنة"

لجماعة شراكة وتحرر

لا أكون عندما لا تكون

الصورة من فيلم Marcellino pane e vino للمخرج لاديسلاو فايدا، 1955.

تشرين الأوّل/أكتوبر 2014

ملاحظات حول مداخلات دافيدي بروسبيري وخوليان كارّون
في يوم بداية العام الجديد للبالغين والطلاّب الجامعيّين في حركة شراكة وتحرّر
فوروم ميديولانوم بمدينة أسّاغو (إقليم ميلانو)، 27 أيلول/سبتمبر 2014

الابتهاج غير المنطقيّ
أن نتابع حبّ
المسير

دافيدي بروسبيري

نرحِّب بكلّ الحاضرين، هنا في أسّاغو وفي المدن المتواصلة معنا في إيطاليا والخارج. كنت أفكِّر مجدّدًا في هذه الأيّام بقيمة بادرة كهذه، قد تبدو في حدّ ذاتها متكرِّرة، إذ نحن نقوم بها كلّ عام! ولكن، كما قلنا قبل عامين، إنّ الهدف الأوّل للاستئناف، بالنسبة لمن يسير، إنّما هو عدم فقدان لذّة المسير. هناك سببٌ واحد تساعد البداية من أجله على عدم فقدان لذّة المسير، وهو لأنّ هناك دائمًا في البداية معيارَ كلّ شيء. البداية هي عطيّة، هي إيثار، كما أنّ بداية الحياة هي هبة غير مُستحقّة، والعلامة الكبرى على العلاقة مع مَن أرادنا. لهذا فإنّ كلّ بداية هي دائمًا مناسبة مميّزة نتذكّر فيها حقيقة أنّنا مُرادون، وبأنّنا لسنا في العالم بالصدفة، وأنّ هناك أحدًا، ربًّا واحدًا، يريدنا الآن، لا يزال يريدنا الآن بالتحديد، وهذا أوّلُ عاملِ يقينٍ في حياة الإنسان.

اليوم، ربّما أكثر من أيّ وقتٍ مضى في التاريخ، إنّ اليقين الذي يحتاجه الإنسان ليس بالكاد فهمًا فكريًّا وعقائديًّا للأشياء فحسب بل هو، كما كان يسمّيه دون جوسّاني، معرفةٌ عاطفيّة للواقع، أي معرفةٌ تستند كلّها إلى العلاقة الحيّة مع "ما" تتألّف منه الحقيقة في النهاية.

إنّ المقطع الذي ساعدني هذا الصيف على فهم هذا الأمر بشكلٍ أفضل كان مداخلة في المؤتمر الدوليّ لمسؤولي الحركة، الذي عُقد أوائل شهر أيلول/سبتمبر في لاتويل. فقد أشارت صديقتنا روز الآتية من كمبالا إلى محادثة جرت بينها وبين دون جوسّاني قال لها خلالها: "حتّى لو كنتِ وحدك في الكون، لجاء الله يبحث عنكِ كيلا تضيعَ عدميّتك". وعلّقت روز قائلة:

"بالنسبة لي، عندما نتكلّم عن الجمال بمعناه السامي، فهو حيث غنمت عدميّتي، حياتي، هذا الجمال، هذه القيمة التي لا ترتبط بعدميّتي، بل بهذا التفضيل الذي أبداه الله تجاهي. والقول إنّني الآن مكتملة، إنّني مكتملة عاطفيًّا، ليس شيئًا نخترعه، إنّما هو حقيقة؛ أن أتنفّس هذا الصباح ممكنٌ بالتحديد لأنّ أحدًا أرادني هذا الصباح وهو لا يخاف ممّا أنا عليه، بل لديه رحمة، ويريدني أن أكون". ومَن يراها، يرى ما هي عليه، يرى ما تفعله ولا يعتريه أيّ شكّ في أنّ هذا كلّه حقيقيّ، كما أخبرني أيضًا مونيكا مادجوني وداريو كوراتولو (اللذان قاما مع روبيرتو فونتولان بإنتاج فيديو حول الستّين عامًا من عمر الحركة، الذي سوف يُلحق بمجلّة تراتشي لشهر تشرين الأول/أكتوبر) بعد ذهابهما إلى كمبالا.

تولد الأنا من جديد في لقاءٍ يحدث فيه هذا الخيار، هذا الإيثار، الذي يمثّل عامل اليقين في الحياة، لأنّ هذا الخيار إنّما هو مبادرة الكائن الأسمى الذي يريدني. إنّ عدم يقيننا – الذي قد يكون حول العلاقات (بل هو عادةً ما يكون حول العلاقات)، ولكن قد يخصّ أيضًا قدرتنا على المبادرة فيكون بالتالي عدم يقين في حضور أو في حُكم ما – ينبع من حقيقة أنّنا، عندما لا تقوم خبرة لهذه العلاقة مع الكائن الأسمى الذي يريدني الآن، نحاول ملء الفراغ بأمر آخر، بعلاقات أخرى تحلّ محلّه، أو بمبادرات من جانبنا.

في يوم افتتاح العام الماضي أثارتنا بهذا الخصوص بالتحديد روايةُ مريم المجدليّة –نتذكّرها جيّدًا – التي تتوجّه إلى القبر حيث تأمل بالعثور على جسد يسوع الميت من أجل تكريمه، فتشعر بدلاً من ذلك بأنّ الربّ القائم من الموت "يدعوها باسمها". بالتحديد في كوننا مدعوّين باسمنا، قال لنا كارّون، تولد الأنا من جديد وتتبع الرغبة في نقل الربّ إلى الآخرين وأخذ المبادرة في العالم.

إنّ الخطوة الأولى من الوعي لمدى هذا الإعلان الذي بلغنا قد طُرحت هذا العام في الرسالة التي أرسلها كارّون إلى كلّ أخويّة الحركة بعد المقابلة الخاصّة مع البابا فرنسيس، التي تلخِّص القلق الأساسي للبابا: يجب علينا أن نركِّز على ما هو أساسيّ، أي على اللقاء مع المسيح. *(راجع الرسالة إلى الأخويّة، 16 تشرين الأوّل/أكتوبر 2013، في مجلة تراتشي، العدد 10/2013).*

لقد ظهر تحدّي ما هو أساسيّ على الفور كعاملٍ حاسم من أجل مواصلة بناء الحضور المسيحيّ في العالم. إنّ نشر كتاب سافورانا "حياة دون جوسّاني"، من وجهة النظر هذه، ومن

محاضرات التعريف به التي تلته في جميع أنحاء إيطاليا برهنت على أنّها أداة هائلة للقاءات جديدة، تتخطّى جهودنا، لأنّ هذه القدرة على اللقاء هي في مصدر الكاريزما. لدرجة أنّه يُطلب منّا بالتحديد البقاء أوفياء لهذا المصدر، إذا كنّا لا نريد أن نخسره.

في ما بعدُ رافقتنا دعوة البابا إلى ما هو أساسيّ في المسار الذي قمنا به من أجل تكوين حكم حول الانتخابات الأوروبيّة، والذي بلغ ذروته في مداخلة كارّون بمعرض ميلانو (الذي أصبح فيما بعد "الصفحة الأولى" من مجلّة تراتشي لشهر أيّار/مايو، "أوروبا 2014، هل البداية الجديدة ممكنة؟"). كان يُقال، بالعودة إلى دون جوسّاني إنّ «حلّ المشاكل التي تطرحها الحياة كلّ يوم "لا يحدث مباشرةً بمواجهة المشاكل، بل من خلال التعمّق بطبيعة الفاعل الذي يواجهها". وعلّق كارّون قائلا: "هذا هو التحدّي الكبير الذي تواجهه أوروبّا. إنّ الحالة التربويّة الطارئة الكبيرة توثّق اختزال الإنسان، ووضعه جانبًا، وغياب الوعي حول من يكون حقًّا الإنسان، وما هي طبيعة رغبته، والتباين الهيكليّ بين ما يتوقّعه وما يمكن أن يتوصّل إليه بقوّته» *(تراتشي، العدد 5/2014، ص. 6)*.

لقد كان هذا الحكمُ مصدرَ تأمّل لدى العديد من جماعاتنا هذا الصيف. بالتأكيد، إنّ الشهادة الأكبر على هذا الأمر، والماثلة أمام أعيننا منذ أسابيع وحتّى الآن، هي شهادة إخوتنا وأخواتنا المسيحيّين الذين يعانون من الاضطهاد والعذاب ويتعرّضون لخطر الموت يوميًّا من أجل تأكيد إيمانهم. ففي شهادتهم نرى ما هو الأساسيّ، ما هو أساسيّ لهم للعيش في ذلك الوضع. لقد قرأنا في تراتشي المقابلة مع رئيس أساقفة الموصل، "من الممكن عيش كلّ لحظة بأمل كامل وفرح كامل". ويسألونه: "كيف فهمت أنّ هذا ممكن؟" "لقد بدأت أنا بنفسي بعيش هذا الشعور. وبدأت بإيصاله في عظاتي ولقاءاتي. ولاحظت مع مرور الوقت أنّ الناس كانوا يتغيّرون". "ممّ أدركتم بأنّ المسيحيّين قد غيّروا مواقفهم؟". "من طريقة عيشهم. فهم من بدؤوا يقولون لي إنّهم بحاجة إلى التعلّق أكثر بإيماننا. هم من يقولون لي إنّهم عادوا إلى الحياة في خضمّ الصعوبات العديدة. كانوا يقولونه لي بالكلام وأنا فهمت من أعينهم أنّ ذاك كان صحيحًا" (أميل شمعون نونا، "من عيونهم أعرف أنّهم يحييون" مقابلة قام بها لوكا فيوري، تراتشي، العدد 2014/7، ص 27–28).

نفهم ههنا أخيرًا ما معنى الشهادة (ليس من قبيل الصدفة أن تكون المعنى الأصليّ لكلمة

"استشهاد"): حكم في الحبّ والتعلّق، نبذل من أجله حياتنا؛ أوّلاً لأنّ الحياة تتغيّر بفعل نظرة جديدة إلى الذات، إلى مصيرنا ومصير العالم؛ نبذل حياتنا من أجل النظرة التي أدخلها الإيمان في وجودنا. هذه الشهادة تحكم علينا، لأنّها تُظهر بوضوح أنّه من أجل الحكم على الخبرة المعاشة يمكننا المخاطرة بذاتنا من دون أن نكون أبطالا، أينما كنّا، لمجرّد أنّه من دون الدفاع عن هذه الخبرة، تصبح حياتنا من غير حياة! وهذه صحوة لكلّ الشعب المسيحيّ، الذي هو أيضًا أحد مهامّ صداقتنا: أنّ تكون الأنا موقَظة، لا أن تتعزّى، أو بالأحرى هذا أيضًا، ولكن ليس بالطريقة التي نفهم بها هذا المصطلح، بمعنى: "تشجّع، سترى أنّ الغد سيكون أفضل". ليس هذا. العزاء الوحيد الذي نسعى إليه هو أن نكون أمام معنى الحياة. لا شيء أقلّ من هذا يمكنه مؤاساتنا حقًّا، لأنّ في الأقلّ من ذلك، أي دون هذا المعنى، تصبح فيه الحياة شعورًا بالوحدة.

ولكن – كنت أفكّر هذا الصيف – حينما يدخل حبّ الحياة وجودنا، عندما يقوم أحدٌ بلقاء قادر على إيقاظ الأنا، إذا كان المرء حقيقيًّا تجاه ما حدث له، فهو على استعداد لبذل حياته من أجله. إنّه لا يتردّد في بذل حياته ويبدأ بالقيام بذلك وضعًا كلّ ذاته، كلّ طاقاته المتاحة من أجل هذا الغرض. ويبدأ يشعر بالحياة كتضحية، أي معطاة من أجل هدف عظيم، الذي ليس بهدف خياليّ، بل محبّة من أحبّك لدرجة إنقاذك من عدميّتك، كما قلنا سابقًا. بدأتُ أدرك أنّ كلّ ذلك مجرّد مقدّمة، لأنّه يجعلنا نفهم ما هي الغاية من صُنعنا؛ مقدّمة لاكتشاف أنّ هناك ما هو أكثر، قد يكون هناك أكثر. لا بل قد تكون الحياة أكثر عمقًا، قد يحبّ المرء حبّ حياته أكثر من هذا الاندفاع البطولي. لأنّ التضحية بالنسبة لنا لا تزال تحوي شبه التباس أخير، أي أنّنا مستعدّون لبذل حياتنا وفقًا للطريقة، للشكل، حتّى الكبير، اللازم، كخدمة يمكننا أن نقوم بها. ولكن هناك تضحية أكبر بكثير، هي بذل الحياة متقبّلين "كيف" و "متى" يقرّر الربّ. ربّما لا تكون مستعدًّا، ولا تشعر بأنّك جاهز لما يُطلب منك بشكل مختلف عمّا تعطيه الآن في الحياة، ولكن يُطلب منك هذا كلّه هناك. حينها تدرك أنّ اللحظة – كما قلنا مرّات عديدة في السابق، ولكنّك تبدأ باكتشافها في طيّات تجربتك – تكتسب قيمة لامتناهية عندما يكون بذل الحياة في "كيف" و "متى" تطلبه منك محبّة حياتك. إنّه استعدادٌ نتعلّمه وينمو فقط من خلال كلّ تلك الـ "نَعَم" خاصّتك، حتّى الصغيرة منها، التي بدأت تقولها بفعل المحبّة.

إذن، برز هذا الصيف، وفق طرق مختلفة وفي مرّات متعدّدة حتّى بين بعضنا البعض، كيف أنّ المسيرة التي نقوم بها قد أصبحت العامل الذي يسمح بـ "التعمّق بطبيعة الفاعل"، كما قلنا سابقًا. ولكن غالبًا ما نشعر بالفارق بين هذا الاندفاع البطوليّ، الذي نشعر بأنّه حيّ، وبين الحياة العاديّة، التي ندركها كواقع "أقلّ أهميّة"، أو بين الحكم على الواقع الذي يأتي من الإيمان وبين الحاجة إلى النظر إلى مَن هو أمامنا لكي نلقاه حقًّا وليس بشكلٍ جدليّ، كما يطلب منّا البابا. وبالتالي نسألك: ماذا يجعل الأنا موحّدةً، حتّى نتمكّن من عيش كلّ ما أُعطي لنا، كلّ التحديّات التي نواجهها، كملء الحياة وحبّها؟

خوليان كارّون

ما الذي يجعل الأنا موحّدة؟

"لا أكون عندما لا تكون"، تقول أغنية لِفرانشيسكو غوتشيني تقدّم عنوان هذا اللقاء ("أودّ"، كلمات وموسيقى غوتشيني). عمّن نستطيع قول ذلك؟ عمّن نستطيع أن نقول ذلك الآن؟ لقد أثّر فيّ هذا التعبير لسببين. الأوّل هو أنّني أدرك ما هو أِساسيّ بالنسبة لي لأنّني لا أكون عندما يغيب، وهذا يظهر من "بقائي وحيدًا مع أفكاري"، كما تتابع أغنية غوتشيني. والسبب الثاني هو أنّ ذاك الشيء الأساسيّ يجب أن يكون حاضرًا الآن. إن لم يكن حاضرًا الآن، فأنا لا أكون. يبدو لي أن ليس هناك من معيار آخر للتعرّف على الأساسيّ الذي ذكره البابا مجدّدًا في رسالته إلى ملتقى ريميني، إن لم يكن هذا بالذات: حضور يجعلني أكون؛ أدركه لأنّه عندما يغيب لا أكون، لا أكون البتّة. يبدو على الفور أنّها ليست في المقام الأول مشكلة اتّساق، بل انتماء إلى حضور لا أكون من دونه.

ولكن ما الذي يجعلنا نكون؟ أن نكون الآن، في هذا الوضع التاريخيّ الذي نتواجد فيه؟ لا شيء، لا شيء يمنع من إعادة القيام في الحياة بنفس الخبرة التي يرويها جورجو غابير في الأغنية التي استمعنا إليها في البداية ("الابتهاج غير المنطقي"، كلمات لوبوريني، موسيقى غابير). يمكنني أن أكون "وحدي"، في أيّ مكان، "على الأوتوستراد"، في أيّ ساعة، "عند انبلاج الصباح"، مع علمنا بأنّ "كلّ شيء يسير إلى الهلاك"، ولكن "يكفيني شيءٌ بسيط/ ربّما ومضة صغيرة/ هواءٌ تنشّقته من قبل/ منظرٌ طبيعيّ [...]. // فأكون بخير". يكفي أن يدخل الواقع، أيُّ جزء من الواقع، لا شيء تقريبًا، في أفق الأنا خاصّتنا من خلال أيّ ظرف ليوقظه ويجعل خبرة هذا الخير ممكنة. خيرٌ يثير الدهشة لدرجة أنّه يشبه الحلم، فيعترينا ما يقارب "الخجل". لكنّ شيئًا واضحًا يفرض نفسه فأنا لا أستطيع أن أنكر " أنّني بخير/ الآن بالتحديد، هنا بالتحديد/ ليس ذنبي/ إذا ما حدث لي هذا". كما لو أنّ الواقع، قبل أن نتمكّن من الدفاع عن أنفسنا ضدّه بلحظة، وقبل أن نرفع حائطًا في وجهه، يقدر أن يخترق الأنا ليجعلها هي نفسها، "الآن بالتحديد، هنا بالتحديد". ويعترينا "ابتهاجٌ غير منطقي". في الواقع، يبدو من غير المتناسب بالكامل أن يستطيع "لا شيء/ ربّما ومضة صغيرة/ هواءٌ تنشّقته من قبل"، أن يجلب هذا الابتهاج للحياة. "ابتهاج غير منطقيّ/ لا أعرف سببه/ لا أعرف ما هو"، بقدر ما هو

حقيقيّ وغامض في الوقت نفسه. لأنّه لو لم يكن حقيقيًّا، لما حدث ما يقوله غابير في ما بعد: "إنّه كما لو أنّني فجأةً/ انتزعتُ حقّي/ في عيش الحاضر". شيءٌ ما يدخل الحياة ويجعلني حاضرًا في الحاضر، "الآن بالتحديد، هنا بالتحديد". شيءٌ ما قليلُ الأهميّة يستحوذ عليّ لدرجة أنّه يجعلني حاضرًا أمام نفسي. إنّي متّحدٌ كليًّا، حاضرٌ، عندما تكون موجودًا.
من الصعب العثور على أغنية تعبِّر بشكلٍ أفضل عن معنى الفصل العاشر من الحسّ الدينيّ. الأنا، عندما يتنبّه لحضور الواقع الذي لا ينضب، "عندما يستيقظ في كينونته"، يقول دون جوسّاني، "بفعل الحضور والجاذبيّة والذهول [أمام الواقع]، [...] فيصبح راضيًا سعيدًا" (الحسّ الدينيّ، مطبعة البطريركيّة اللاتينية، القدس 2006، ص 126) ويكون بخير.

من منّا لا يرغب بهذا كلَّ صباح، كلّ لحظة من لحظات حياته؟ لحظة الملء يندهش فيها المرء، كما عشناها عدّة مرّات نحن أيضًا. في تلك الخبرة الجدّ بسيطة والأوّليّة، التي في متناول كلّ إنسان، في أيّ وقت، في أيّ مكان، وتحت أيّ ظرفٍ من الظروف، هناك **النهج** كلّه.
حضور يجعلني أكون. ليست هناك أيّة محاولة من جانبي بمقدورها أن تعطيني ما تعطيني إيّاه تلك اللحظة. ليس هناك من معيار آخر للتعرّف إلى ما هو أساسيّ، إن لم يكن هذا. أن يكون هو الأساسيّ نعرفه لأنّه يجعلني أكون لدرجة أنّه، عندما يغيب، فأنا لا أكون، لا أكون البتّة! وبمجرّد أن يظهر أكون، وأكون سعيدًا، أختبر "ابتهاجًا غير منطقيّ"، "الآن بالتحديد، هنا بالتحديد"، يجعلني قادرًا على عيش الحاضر.
أمّا حين لا يسود هذا النهج، فـ "كم هو مريرٌ يا حبيبي،/ أن نرى الأمور كما أراها أنا [ليس لأنّ الواقع يتغيّر، بل لأنّ طريقة رؤية الأشياء تتغيّر] [...]. // كم هو مخيّبٌ للأمل [...] / أن نعيش الحياة بهذا القلب [الذي غالبًا ما ينكمش]/ ولا نريد أن نفقد شيئًا (أغنية "أن نحبّ بعد"، كلمات وموسيقى كلاوديو كييفّو)، مع أنّنا نرى أنّ كلّ شيء يفلت من بين أيدينا.
لكنّ التغيير سهل: «يكفي فقط أن نعود أطفالاً ونتذكّر.../ أن نتذكّر بأنّ كلّ شيء مُعطى، وأنّ كلّ شيء جديد/ ومُحرَّر ». يكفي أن نفهم أنّ نشاطنا الأوّل مستسلم، إنّه هذا الاقتبال، هذا التلقّي، هذا الاعتراف بأنّ كلّ شيء مُعطى. يكفي وميضٌ ليمكننا القول بأنّ شيئًا ما قد أُعطي لنا. لا نحتاج إلى أيّ شيء استثنائي بشكلٍ خاص. يكفي وميضٌ صغير لأنّ أيَّ شيء، حتّى الأصغر، يوثّق بأنّ هناك شيئًا آخر. "هذا هو نهجنا"، يقول جوسّاني في الكتاب الأخير من

الفريق، في المسيرة، "لتوضيح مشكلة الإنسان كتديّن – الذي هو المشكلة الأعمق والأكثر شموليّة للإنسان –: من الضروريّ قبل كلّ شيء جعلُ العلاقة بين الإنسان والواقع في كونه ناشئًا، خبرةً شخصيّة" (في المسيرة. 1992–1998، بور، ميلانو 2014، ص 316).»

كلّنا مرّ، في بعض اللحظات الاستثنائيّة، بتجربة كهذه، لكنّنا نتساءل: كيف يمكن لهذا أن يصبح ثابتًا؟ كيف نجعل التجربة الشخصيّة في العلاقة بين الإنسان والواقع في كونه ناشئًا ثابتة؟ هنا تكمن مشكلة المسيرة. في الواقع، من دون القيام بمسيرة يمكننا، حتّى بعد لحظات استثنائيّة، العودة إلى الروتين وكلّ شيء قد يصبح مملاً شاحبًا مختزلاً. نحن ننتمي إلى حركة للقيام معًا بهذه المسيرة، لنساند بعضنا بعضًا في هذه المسيرة. في كلّ مرة نلتقي بها، كما قال دافيدي سابقًا، إنّما يكون للاستمرار بالسير، من أجل لذّة المسيرة، لأنّه إن لم نقم بالمسيرة، أي بدون تربية، لا يصبح هذا النهج تجربة شخصيّة، أي لا يصبح لي. الواقع موجودٌ هناك، أمامنا كلّنا، لكنّه ليس لي.

عند هذه النقطة، يجب أن نعود إلىالسؤال الذي طرحناه على أنفسنا في الصيف:"عمَّ تبحثون؟". البحث هو علامة من يسير. ولكننا قلنا لأنفسنا: لا نعتبرنّ سؤال "عمَّ تبحثون؟" مفروغًا منه. لأنّه يمكننا أن ننتمي إلى الحركة، أن نكون هنا جسديًّا ولم نعُد نبحث؛ أن نكون هنا ونكون متوقّفين، جامدين؛ هذا ما نراه لأنّه، بدلاً من "الابتهاج غير المنطقي"، يسود التذمّر في الحياة. من المؤثِّر أنّ جميع هذه التجارب، التي نعيشها، مماثلة لتجارب أيِّ شخص يعيش انتماءً. غابير نفسه، في أغنية أخرى عنوانها "كان أحدهم شيوعيًّا"، يسرد قائمة طويلة بجميع الأسباب التي يمكن من أجلها أن يكون المرء شيوعيًّا: لأنّ المرء "بحاجة لدفعة"، لأنّ المرء لديه "حاجة أخلاقيّة مختلفة"، أو "لرغبة في تغيير الأمور"، لأنّه بحاجة إلى "انطلاقة" إلخ. عمَّ كان يبحث من خلال الانتماء إلى الحزب؟ بماذا كان يرغب؟ تخطّي الثنويّة التي نجدها مرّات عديدة في أنفسنا. "كان كشخصين في شخص واحد"، يقول. "من جهة، التعب اليوميّ الشخصيّ، ومن جهة أخرى الشعور بالانتماء إلى عرق يريد أن يطير بقوّة لتغيير الحياة حقًّا" (كان أحدهم شيوعيًّا"، جورجو غابير وأ. لوبوريني). للانتماء هدف: تغيير الحياة، "العيش الذي يقطع الساقين" (تشيزاري بافيزي، حوارات مع لوكو، دار نشر إيناودي، تورينو 1947 ص 166). ثمّ، مع مرور الوقت، بعد سنوات من الانتماء، يأتي السؤال المأساوي: "والآن؟". والآن؟ أيُّ

انتماء يحتاج – شئنا أم أبينا – إلى المرور بتدقيق الجهد اليوميّ. هل تبيّن أنّ ذاك الانتماء قادرٌ على الإجابة على تحديّات الحياة، على تلك الرغبة بالتغيير؟ تُدهشنا نزاهة غابير في اعترافه بنتيجة التدقيق: "والآن؟ الآن أيضًا نشعر وكأنّنا اثنان: من جهة، الإنسان المندمج الذي يجتاز بإجلال تعاسة بقائه اليوميّ حيًّا، ومن جهة أخرى النورس، حتّى من دون نيّة الطيران، لأنّ الحلم قد تقلّص الآن. / تعاستان في جسدٍ واحد" ("كان أحدهم شيوعيًّا"، جورجو غابير و أ. لوبوريني).

لاحظوا أن ليس كلٌّ انتماء يحلّ مسألة الحياة. ولا أيّ أسلوب في عيش الانتماء الحقيقيّ يحلّ الثنويّة. فمشكلة وحدة الحياة تطرح نفسها دائمًا. نحن لا نتخطّى المأزق عبر تأكيدنا بالكلمات وحدها على الانتماء، لا نتخطّى المأزق بالإصرار فقط طوعيًّا على هذا الانتماء. فقد نعيش انقسامًا عميقًا في نفسنا بين "تعاسة بقائنا اليوميّ أحياء" و"النورس، حتّى من دون نيّة الطيران".

نحن الذين ننتمي إلى واقع الحركة، لدينا نفس المشكلة. وكما أنّ الشيوعيّ كان عليه أن يجتاز تدقيق التاريخ، نحن أيضًا نقوم بتدقيق الإيمان أمام تحديّات الحياة اليوميّة والتاريخ. والآن؟ يكتب لي أحدكم: " غالبًا ما يكون من الصعب في مجموعتنا الأخويّة (ولكنّي سمعت الشيء نفسه من المجموعات الأخرى) تحقيق تلك الصداقة الأخويّة التي تسمح بالمشاركة بتجارب كلّ فرد منّا، بشكلٍ يصبح فيه من الممكن التعبير عن الأحكام المشتركة، وأن تكون المجموعة بالتالي مفيدة للجميع في العثور على "عيون السماء" في حياتنا الخاصّة. بدلاً من السعي وراء المساعدة الأخويّة لهذا الهدف، نقتصر على القيام بتعليقات، قد تكون ذات طابع فكريّ. ولكن في النهاية، يبقى فينا عدم الرضى ونتساءل عمّا يجدر فعله، كما لو كان الحلّ خارجًا عنّا".

كما ترون، ليست أيّة طريقة عيش الانتماء بمُرضِية. فاستبدال التجربة بالتعليقات ليس مفيدًا للعثور على "عيون السماء". كان دون جوسّاني قد استبق هذا الأمر بقوله: "إنّ الإيمان الذي لا يمكن العثور عليه وإيجاده في التجربة الحاضرة، التي تؤكّدها، والمفيدة للإجابة على احتياجاته، ليس [...] إيمانًا قادرًا على المقاومة في عالم حيث كلّ شيء، كلّ شيء، [...] يقول العكس" (الخطر التربويّ، ريتسولي، ميلانو 2014، ص 20). إنّه الخطر الذي ينتابنا في عيش انتماء لا يلبّي احتياجات الحياة.

تعجبني نزاهة غابير نفسه، الذي يعترف في أغنية أخرى من أغانيه اسمها "الرغبة" بأنّ "لا معنى [لمواصلة] تعداد المشاكل/ وابتكار أسماء جديدة] "تعليقات، قد تكون ذات طابع فكريّ"، كما يقول صديقنا] / لتراجُعنا/ الذي لا يتوقّف إذا ما استمررنا في الكلام.// الحب، / لا يعود ضروريًّا/ إذا كان ما ينقصنا/ اسمه الرغبة" ("الرغبة"، جورجو غابير و أ. لوبوريني). يا لها من مأساة! نحن لا نوقف تراجعنا بثرثراتنا أو مناقشاتنا، أو بسيل تعليقاتنا، لأنّ هذا بالتحديد هو الآن علامة تراجعنا. إذا كنّا نفتقر إلى الرغبة، إذا غاب عنّا ما يشكّل محرِّكَ الحياة – لأنّ "الرغبة"، كما يقول غابير، "هو الدافع الداخليّ الحقيقيّ/ [...] هو المحرِّك الوحيد/ الذي يُحرِّك العالم" – فمن يوقظه من جديد؟ إن لم يكن بقاؤنا معًا مفيدًا للعثور على "عيون السماء" التي تسمح لنا بأن نطير ونطير، فمن يمكنه أن يجعلنا حاضرين في الحاضر لدرجة إيقاظ كلّ حنيننا؟

لقد أثّر بي دومًا التفكير بأنّ العطيّة الأولى التي تلقّيتها من دون جوسّاني كانت تلك القدرة على رؤية عدم خشيته من قول الأشياء التي نعيشها جميعًا، لكنّها كانت تبقى مخفيّة بخجل حتّى على أنفسنا. يمكننا أن ننظر إليها وجهًا لوجه، أن نقولها، أن نتحدّاها فقط بفضل قوّة ما تلقّيناه. لهذا السبب، يجب أن يرى كلّ واحدٍ منّا، بعد سنوات من الانتماء إلى الحركة، إن كان الآن في حالة "النورس، دون حتّى نيّة الطيران" أو إذا كان لا يزال يجد في نفسه الرغبة في الطيران (لأنّ الرغبة هي المحرِّك الذي يحرِّك كلّ شيء)، واعيًا بأنّه لم "يفقد الحياة في العيش" فحسب، لنقُلها مع إيليوت، بل إنّه يربحها بالعيش. لهذا فإنّ السؤال ليس تافهًا: أما زلنا نبحث أم توقّفنا؟

الربّ لم يتخلَّ عنّا

أينما كانت نقطة المسيرة التي نتواجد فيها، أينما كانت نقطة المسار التي يقف فيها كلّ واحد، فإنّ وقت الصعوبة الذي يمرّ به، لحظة الفرح التي يعيشها، نسمع من البابا اليوم أيضًا، في كلّ جديده، في رسالته إلى لقاء ريميني: "الربّ لم يتركنا لوحدنا [أي لتعاسة بقائنا يوميًّا أحياء أو كوننا طيور نورس دون نيّة الطيران]، لم ينسَنا. لقد اختار في العصور القديمة رجلاً، هو إبراهيم، ووضعه على خطّ السير نحو الأرض التي وعده بها. وعند اكتمال الأزمنة اختار شابّة، هي العذراء مريم، ليصيرَ جسدًا ويأتي ليسكن بيننا. كانت الناصرة قرية لا شأن لها البتّة،

و"ضاحية" سواء على المستوى السياسيّ أو الدينيّ؛ لكنّ الله نظر إليها بالتحديد، لإكمال تدبيره في الرحمة والإخلاص" (فرنسيس، الرسالة إلى لقاء ريميني للصداقة بين الشعوب، 24 – 30 آب/أغسطس 2014). هذا المكان، الذي يستمرّ السرّ من خلاله بتفضيلنا – نحن نعرف ذلك جيّدًا – هو بالنسبة إلينا الكاريزما خاصّتنا، المكان الذي لا يزال الربّ يحتفظ فيه برحمة تجاهنا. هذا هو المكان الذي يواصل فيه دعوته لنا، من خلال كلّ لفتة، كلّ كلمة، كلّ محاولة.

«عزيزي دون خوليان، "لا أكون عندما لا تكون"»، كتب إليّ أحدكم أمس حينما عرف بعنوان هذا اليوم الافتتاحيّ. «اكتشفت نفسي اليوم هكذا بالتحديد. عندما يكون المسيح في أفق نظري، في أفق يومي، "أعيش". أعيش أيضًا عندما أسافر لأسابيع بعيدًا عن عائلتي وأطفالي. أعيش في تغيير المنطقة الزمنيّة والسرير وفي تعب العمل. أعيش بفضل "ذاكرة" المسيح التي تظهر أمامي بأشكال عديدة – هي نفسها التي وصفتها أنت مؤخّرًا : أسرار البيعة، صلوات الصباح، مكالمة هاتفيّة، مدرسة الجماعة، لقاء، أو حتّى شهادة ألقيت في لقاء ريميني ورأيتها على يوتيوب في وقت لاحق... حتّى الإيماءات التي كنت أظنّها سابقًا مُنافقة، أدرك الآن أنّها عطيّة شراكة حقيقيّة وأحبّها –. إنّها ذكرى المسيح تلك التي تنير كلّ شيء، حتّى اللحظة الأسهل أو الأكثر تعبًا. ولكن إذا لم يكن المسيح في ذاكرتي، فأنا حقًّا لا أكون. إنّ غيابه لثقلٌ مميت، كما في هذا الأسبوع، فرغم أنّني في البيت، بعيدًا عن متاعب الحياة، لا شيء يكفي. أكتب هذه السطور لأقول لك كم إنّني أنتظر بشوق يوم غد. أنا حقًّا لا أكون عندما لا تكون».

المسألة هي كيف يجيب كلٌّ منّا على هذه الطريقة التاريخيّة التي لا يزال السرّ من خلالها يحتفظ برحمة لعدميّتنا. بالطبع ليس الانتماء الشكليّ هو ما يُبقي الرغبة بالطيران حيّةً فينا، بل اتّباع حقيقيّ. الفرصة الوحيدة لمتابعة البحث، لإيقاظ الرغبة، هي في الاتّباع.

«أودّ أن أغتنم الفرصة لأشكرك على رياضة الأخويّة الروحيّة في ريميني 2014، لأنّك قد أحييتَ في تلك الأيّام في نفسي (أعطيتني الحياة من جديد، أجرؤ على القول...) الرغبة في كلّ شيء. قبلك، قبل أن التقي بك كنتُ أختزل كلّ شيء والجميع. كنت أختزل المسيحيّة إلى مثال جيّد يجدر تقديمُه، ولكن بعد ذلك لم أعد أتحمّل وكنت دومًا غيرَ راضٍ ودون نعمة الله، كنت أطوف لوحدي في عزلة كالمتشرِّد، من غير هدف حقيقيّ. لا بل كنت خائفًا من بقائي لوحدي ...ولكن في تلك الأيام في ريميني، أيقظتّ في أعماقي عطيّة حضور الربّ وأشعر بأن

لا شيء ولا أحد يمكنه أن يوقفني..."أشعر بأنّ الحياة تتفجّر في قلبي"، كما يغنّي كييفّو. شكرًا فعلاً! بعد الرياضة الروحيّة في ريميني، عدتُ إلى الحياة الحقيقيّة، إلى الحياة اليوميّة، لقد غطستُ (غطستُ حرفيًّا...) في استئناف الرياضة الروحيّة وشيءٌ ما بدأ يتفتّح: أنا أكثر سعادة، أستمرّ في التعمّق وفي قراءة النصّ، أصل إلى النهاية وشيءٌ ما، وميض صغير من الأمل يبدأ بإنارة ظلماتي. إنّي شخصٌ آخر، وأشكر الله على ذلك لأنّني الآن، خلافًا للمعجزة التي كنت أنتظرها منذ سنوات عديدة، أستمتع بكلّ خطوة من المسيرة التي يجدر بي القيام بها، في الفرح والألم».

إنّ اللقاء مع ذاك الحضور الأسمى الذي يجعلني أكون، لنقُلها مع دون جوسّاني، "يبعث الشخصيّة، ويجعلنا نُدرك أو ندرك من جديد، يجعلنا نكتشف معنى كرامتنا، وكرامة شخصيّتنا. وبما أنّ الشخصيّة تتكوّن من الذكاء والعاطفة أو الحريّة، فأنّ الذكاء يستيقظ في ذلك اللقاء في فضولٍ جديد، في إرادةِ حقيقةٍ جديدة، في الرغبة بصراحة جديدة، في رغبةٍ بالتعرّف إلى كيف هو الواقع حقًّا، وتبدأ الأنا بالارتعاش مولعةً بما هو موجود، مولعةً بالحياة، مولعةً بذاتها، مولعةً بالآخرين، في ولعٍ لم يكن لديها من قبلُ. وهكذا يمكننا القول: تولد الشخصيّة» (في المسيرة. 1992–1998، مرجع مذكور، ص 184–185).

ولكن ما هو هذا الاتّباع؟ أهو انتماءٌ شكليّ، وتكرار لفظيّ للتعريفات الصحيحة والحقيقيّة، أم كما يقول جوسّاني، خبرة الأشياء الحقيقيّة؟ هنا أيضًا أبدى السرّ رحمةً تجاهنا فأعطانا كلّ ما هو ضروريّ للإجابة، وفي حياة دون جوسّاني شهد لنا بماهيّة هذا الاتّباع، كيلا تلتبسَ الأمورُ على أحد، كي يمسكَ كلِّ واحدٍ أداةً لمعرفة معنى الاتّباع (وبالتالي لتقرير ما إذا كان يريد أن يتبع أم لا)؛ لقد ترك لنا الإشارة للطريق التي تسمح لنا بالتوصّل إلى جعل أمورنا حقيقيّة وببلوغ وحدة الحياة تلك التي نرغبها جميعًا. لأنّ البديل واضح: بين انتماء شكليّ، شراكيّ، تنظيميّ، لكنّه لا يوقف تراجع حياتنا، أو [الانتماء] الاتّباع، كما وصفه دون جوسّاني –كم مرّةً يجدر بنا تكراره بعد للانتقال من النيّة إلى الخبرة! – «الاتّباع هو الرغبة في عيش خبرة الشخص الذي استثارك من جديد [العيش من جديد! عيش الخبرة من جديد!] ويستثيرك بوجوده في حياة الجماعة، إنّه التوق لا لنصبح كذاك الشخص في محسوسيّته المليئة بالمحدوديّات، بل كذاك الشخص في القيمة التي يعطي نفسه لها والتي تفدي أيضًا في النهاية وجهَه كإنسان مسكين؛

إنّها الرغبة في المشاركة بحياة ذلك الشخص الذي حمل إليك شيئًا من آخر، وهذا الآخر هو من تتعبّد له، من تطمح إليه، من تريد الانضمام إليه، داخل هذه المسيرة» (مهمّة طارئة للتربية، SEI، تورينو 1995، ص 64). أن نعيش من جديد خبرة آخر ليس تكرارًا شكليًّا أو مشاركة في جمعيّة. هناك هوّة بين الأمرين! في الحالة الأولى، لا يوقف المرء التراجع، لا يوقظ الرغبة، لا يعطي نفسه أجنحة للطيران، أمّا في الحالة الأخرى فيكون المرء مفتونًا أكثر فأكثر، يصبح أكثر فأكثر هو نفسه.

يكتب أحدكم قائلا: «عند إعادة قراءة الرياضة الروحيّة للأخويّة أعيش من جديد الصدمة الاستفزازيّة والتحرّريّة لجوابك الأوّل. إذ أنتمي إلى مَن يسمّونهم بـ "قدماء" الحركة (عمري 60 عامًا)، أشعر بأنّها نقطة حاسمة لإعادة الانطلاق، كما كان الأمر منذ بدايات قيادتك، بأنّها تطابقٌ مُتحدٍّ يُعيدني مباشرةً إلى الأيّام التي كنتُ فيها في سنّ الرابعة عشرة واكتشفتُ الحركة كطريق من أجل خلاص حياتي. أمام من يتذمّر أشعر بعض الشيء بأنّني المولود الأعمى في مواجهة اعتراضات الفريسيّين: "أنتم تقولون أن بهذا الشكل لا تجري الأمور بشكلٍ جيّد، لكنّني في الوقت نفسه، باتّباعي، أجد معنى اللقاء مع الحركة، نضارتها، شبابها الهازئ بمزيد من النضج . تبدو لي طريقَ حريّةٍ واستعادةً لوعيٍ جديدٍ كليًّا للإيمان: لذلك، أيجب أن أحذف كلّ هذا من أجل إفساح المجال للاعتراضات؟ لكنّني باتّباعه أرى وأتنفّس، وهذا لا يمكنكم انتزاعه منّي، فهذا واقع» . قد يجيب المرء على السؤال: «والآن؟» بعد أن أجد نفسي في سنّ الستّين، بعد أكثر من أربعين سنة من الانتماء إلى الحركة، بنضارة، بنفَس، بحريّة ووعي للإيمان جديدٍ كليًّا، لا يمكن لأيّ اعتراض أن يزيله. ما الذي مكّنه من جعل هذا الجديد في حياته ثابتًا؟ الاتّباع.

لذلك فإنّ حياتنا تكون باستمرار على المحكّ على هذا المستوى بالذات: في اتّباع الكاريزما أو لا، والنهج تصفُه بشكل موجز جملة لدون جوسّاني أردِّدها كثيرًا: «التعريف يجب أن يصوغ اكتسابًا حاصلا، فإن حدثَ العكس كان ذلك فرضًا لِنموذج معيّن » (في أصل الادّعاء المسيحيّ، مطبعة البطريركيّة اللاتينيّة، القدس 2010، ص 75). فإمّا أن يكون التعريف إنجازًا حدث بالفعل في خبرتنا وإمّا هو فرضٌ لمخطّط. لهذا السبب، فإنّ الخيار هو بين من يرغب في اتّباع شخصٍ يفرض نموذجًا معيّنًا ومن يرغب في اتّباع شخص يساعده على إنجاز محتوى

التعريف شخصيًّا. لقد كانت مساعدة الشخص على تحقيق هذا الإنجاز هي الطريقة التي اتّبعها يسوع. ليس هناك من بديل. وإذا كنّا لا نفهم ذلك كأمر حاسم بالنسبة لنا، فإنّنا لن ندرك بأنّ هذا بالتحديد هو ما نقوم به مع الآخرين: نفرض نماذج. وبما أنّه يمكننا مرّاتٍ عديدة أن نرضى بتكرار تعريفات وخطابات على أنفسنا، فإنّنا نصل في نهاية المطاف إلى الاعتقاد بأنّه يكفي فرض التعريفات على الآخرين، أو أسوأ من ذلك، قرع الآخرين بتعريفاتنا الصحيحة. ولكن كما نعلم تمامًا من خبرتنا، هذا لا يجعل الحياة موحّدة، لا يجعل التعريف الذي أعرفه تعريفًا خاصًّا بي. للفوز به يجب القيام بخبرة. لهذا السبب، لا أعرف كم مرّةً كرّرتُ، مذ كنت هنا، هذه الجملة: «يصبح الواقع واضحًا في الخبرة »، وأيضًا: «الخبرة هي الظاهرة التي يصبح فيها الواقع شفّافًا ويجعل نفسه معروفًا» (في المسيرة . 1998-1992، مرجع مذكور، ص 311، 250)، إنّها لجملةٌ "نوويّة" من جُمل جوسّاني!

لذلك، ماذا يعني أن نعيش من جديد خبرة آخر؟ ماذا يعني أن نعيش من جديد خبرة دون جوسّاني؟ بماذا شهد لنا واقترح علينا كفرضيّة لِوُلوج الواقع، لنكون أناسًا، لكيلا نفقد النيّة في الطيران، لنكون أناسًا لا يتوقّفون عن البحث، أناسًا لا تنقص فيهم الرغبة؟ لنستمع من جديد إلى البابا، الذي دعانا في رسالته إلى لقاء ريميني «إلى عدم فقدان الصلة بالواقع أبدًا، بل إلى أن نكون عشّاقًا للواقع. هذا أيضًا جزءٌ من الشهادة المسيحيّة، ففي ظلّ ثقافة مهيمِنة تعطي الأولويّة للمظاهر، لما هو سطحيّ ومؤقّت، يتمثّل التحدّي في اختيار الواقع. ومحبّته. لقد ترك دون جوسّاني هذا الإرث كبرنامج حياة، عندما أكّد: على أنّ "الشرط الوحيد لنكون دائمًا وحقًّا متديّنين [أي بشرًا] هو عيش الواقع بشكلٍ مكثّف دائمًا. إنّ صيغة مسيرة معنى الواقع هو أن نعيش الواقع من دون استثناءات مُسبَقة، أي دون إنكار ونسيان أيّ شيء. ليس من الإنسانيّ، أي العقلانيّ، اعتبار الخبرة من حيث مجالها وارتفاع موجتها، من دون الغوص في عمق تحرّكها" (فرنسيس، رسالة إلى لقاء ريميني للصداقة بين الشعوب، 24–30 آب/أغسطس 2014). يهبنا البابا من جديد بهذا التذكير " الآن" برنامجَ الحياة الذي اقترحه علينا دومًا دون جوسّاني! والبرنامج ليس تكرارًا للتعريفات الصحيحة، بل الإشارة إلى طريق يمكننا جميعًا السير بها. لنكون أناسًا يجدر بنا "أن نعيش الواقع بزخم دائم" (الحسّ الدينيّ، مرجع مذكور ص 130). على كلّ واحد أن يقرّر .

قيمة الظروف

ولكن ممَّ هو مصنوعٌ الواقع؟ من الظروف، من الظروف – كما قال دافيدي سابقًا – التي يدعونا السرّ من خلالها، يوقظنا، يأتي لملاقاتنا كيلا نتراجع أبدًا، ولا نسقط في العدم. لهذا السبب بالتحديد دعانا جوسّاني لأن ننظر إلى الظرف بطريقة تمنعنا من البقاء في المظاهر . لأنّ الظروف هي الوسائل التي يدعونا السرّ من خلالها، وينتشلنا من العدم، ويفضّلنا. لهذا يقول لنا أيضًا في الحسّ الدينيّ إنّ "الإنسان، حياة الإنسان العقلانيّة، يجب عليها أن تتعلّق باللحظة، معلّقة بكل لحظة بهذه العلامة المتغيّرة ظاهريًّا، والظرفيّة، لدرجة أنّ "السيّد" المجهول يدعوني من خلال الظروف ويجرّني ويستثيرني لدخول مخطّطه". لا يتطلّب الأمر تعريفًا، بل إجابة على استثارة. وهذه الظروف – يزيد دون جوسّاني الجرعة! – قد تكون [أحيانًا] "علامة" غامضة [تعب العيش، تعاسة الحياة اليوميّة، الحالات المأساويّة، الأشياء التي تبدو بالأخصّ غير إنسانيّة] قاتمة وغير شفّافة وفجائيّة ظاهريًّا مثل تتابع الظروف: إنّه كالشعور بأنّنا تحت رحمة نهر يجرّنا إلى هنا وهناك". ولكن هذه هي الطريقة التي يدعوني بها السرّ كيلا يجعلي أسقط في العدم. "والإجابة بنعم عند كلّ لحظة دون رؤية شيء، مستسلمًا ببساطة إلى ضغط الفرص [هو] موقفٌ يسبّب الدوار (الحسّ الدينيّ، مرجع مذكور، ص 162)؛ لهذا ينتابنا الخوف مرّاتٍ كثيرة ونتراجع عن هذا التحدّي. ولكن يا لها من شهادة شهادته! كان دون جوسّاني يقول لنا "آمل أن تكون حياتي قد جرت وفق ما كان يتوقّع الله منها. يمكن القول إنّها جرت تحت وقع الحاجة الملحّة لأنّ كلّ ظرف، لا بل كلّ لحظة كانت بالنسبة لضميري المسيحيّ بحثًا عن مجد المسيح" ("دون جوسّاني: "أنا صفر، الله كلّ شيء"، مقابلة قام بها دينو بوفّو، صحيفة أفّينيري، 13 تشرين الأوّل/أكتوبر 2002، ص3).

لأنّ الحياة بالنسبة له "تتطابق مع الواقع إذ هي تمسُّك، تدعوك، تستثيرك وبالتالي لا حياة من دون مهمّة". كيف تمسُّكَ الحياة؟ "تمسُّكَ كواقع [واقع يستدعي حريّتك] والواقع يستثيرك دائمًا إلى مساهمة، إلى التزام، أي إلى مهمّة". أيّها الأصدقاء، هذا ما يجب أن نتبعه. فمن خلاله يدعونا السرّ. ولكن من يمكنه أن يطالبنا باتّباعٍ كهذا؟ الله وحده. ومن غيره تعالى يمكنه أن يطالبنا بشيء من هذا القبيل؟ وحده تعالى الذي يدعونا. لهذا فإنّ السؤال الحاسم يكمن في فهم كيف يدعونا الله، لأنّنا بخلاف ذلك نتحدّث عن الله بشكلٍ مجرّد، ونرمي به بعيدًا عن الواقع، نُبعده

إلى حيث نعتقد أنّه موجود، وبهذه الطريقة ننظر إلى الواقع، كما يقول البابا، مسمَّرين في المظاهر، لا نعترف بأنّنا مدعوّون للإجابة عليه من خلال الظروف. لكنّ دون جوسّاني ربّانا على الاعتراف بها والنظر إليها على حقيقتها: الطريقة التي يدعونا بها الله، والتي قد تكون شيئًا تافهًا للغاية (ومضة صغيرة) أو ظرفًا قاتمًا، وأحيانًا غير شفّاف، ولكن كما لو أنّ السرّ يقول لنا من خلال هذه الأشياء، "انظر، إنّ هذه الطرق التي لا تفهمها، والتي تبدو لك قاتمة إلى هذا الحدّ، هي العلامة التي من خلالها أبني حياتك، أنا الذي أصنع كلّ الأشياء، أجعلك تنضج، أجعلك أنت نفسك، أجعلك متّحدًا، أوقظ رغبتك، أجعلك حاضرًا في الحاضر". كم هو مؤثِّر عندما يقتبل أحدنا هذا المشروع!

"عزيزي كارّون، أكتب إليك لأشكرك على ما اقترحته في الرياضة الروحيّة والعمل على "عيش الظروف" الذي تحدّيتنا به هذا الصيف. عمري 27 عامًا، تزوّجت قبل عامين وأصبحت أمًّا لطفلة عمرها تسعة أشهر (وُلدت مُصابة بعارض داون)؛ أنا طبيبة تبحث عن عمل. حالةٌ غير اعتياديّة على الإطلاق. أكتب إليك بالضبط لأشكرك لأنّني أدركت في هذه الأشهر القليلة كم أنّني بحاجة للاتّباع. لا يكفي حدثٌ استثنائيّ (في حالتي كلُّ يوم هو، بشكل أو بآخر، استثنائيّ؛ بفضل الوجود السرّيّ لابنتي)، ولا حتّى كلُّ ذلك الاستعداد الكاثوليكيّ الجيّد الذي نملكه إزاء الحياة. أنا مسيحيّة، في الحركة عمليًّا دائمًا، ولكن كلّ هذا لا يكفي للعيش فعليًّا، من الضروريّ اليوم وجود معنى لعيش ما هناك. إنّ متابعة أنشطة الحركة في هذه الأشهر الأخيرة، ليس شكليًّا فحسب، بل بترك نفسي تتربّى، بقسوة في كثير من الأحيان، قد أدخلَ في أيّامي الوعي بأنّ ما أُعطي لي اليوم هو الرفقة الأكثر إفادة لي الآن، طريقي لمعرفة ما يملأ القلب حقًّا: يسوع. لقد فرض نفسه كرفقة مُخلصة، كحضور مُحبّ وضروريّ؛ أي، أنّني لست بحاجة لمن يقول لي إنّ لابنتي قيمة لامتناهية، وإنّ حياتها عظيمة (فهذا واضح في علاقتي اليوميّة بها، عليك أن تراها!)؛ لكنّ الفرق يكمن في اللذة، التي تأتي من الوعي بأن الربّ يدعوني هنا وليس حيث كنت أعتقد أنا. وكأنّ يومي، أي الأشياء الصغيرة، المنزل، زوجي، ابنتي قد "أُعيدوا" إليَّ. وهذا يملأ حقًّا القلب بالامتنان. لم أكن أعتقد البتّة بأنّ عيش الواقع يُشعل رغبتي بالسعادة، بدلاً من ملئه أو إصلاحه بطريقة أو بأخرى. شكرًا مرّة أخرى من

كلّ قلبي على التوجيه الذي تمثّله لهذه المسيرة الإنسانيّة، الجدّ إنسانيّة". إنّ ما أُعطي لها اليوم لهو الرفقة الأكثر فائدة لها الآن. لم تكن تحتاج لمن يقول لها إنّ لابنتها قيمة لامتناهية (وهذا تعريف في الواقع)؛ بالنسبة لهذه الأمّ الشابّة، "الفرق يكمن في اللذّة التي تأتي من الوعي بأنّ الربّ يدعوني هنا وليس حيث كنت أعتقد أنا". وهكذا يُرَدُّ لها كلّ شيء: الأشياء، البيت، الزوج، الابنة.

لكنّنا لا نتماشى في بعض الأحيان وهذه الطريقة؛ فهناك من لا يقبل الاعتراف بهذا الأمر، وبالتالي ينسحب. أمام تحديّات الظروف الحاليّة، التي كثيرًا ما تجعلنا نضطرب، ما هو الإغراء؟ الخضوع للخوف، معتقدين بالوصول إلى الوحدة، كما قال لنا هذا الصيف الأستاذ إوجينيو ماتساريلاّ، من حيث إنّنا "مُعفَون من المخاطر". إنّنا لا نؤمن بأنّ الظرف قد أعطانا إيّاه السرّ، ربّ الزمن والتاريخ، من أجل امتلاك الحقيقة، لأنّه ليست هناك من وسيلة أخرى لامتلاك الحقيقة التي نعرفها منذ الآن، إلا من خلال الحريّة، من خلال إشراك شخصي في الحقّ الذي يدعوني من خلال الظروف.

كما يذكّرنا الكردينال أنجيلو سكولا في المقابلة مع مجلّة تراتشي، تسود في بعض الأحيان "وجهة نظر سكونيّة للإنسان: لا نزال نعتقد، بشكل من أشكال التعقليّة الأخلاقيّة، بأنّ المشكلة الوحيدة هي في تعلّم العقيدة الصحيحة ثمّ تطبيقها على الحياة: "فالعقيدة الأصيلة، بمجرّد إعلانها، ستنتصر". لكنّ هذا الموقف لا يأخذ بعين الاعتبار المُعطى التالي: الإنسان، بسبب كونه "مطروحًا" في الحياة، يجد نفسه يقوم بخبرة تنشأ منها أسئلة وتساؤلات. والعقيدة، التي من الواضح بالنسبة للمسيحيّ أنّها تقوم على الخبرة الأصليّة لاتّباع المسيح التي يعرضها علينا التعليم الكنسيّ بسلطان، يتعيّن اكتشافها من جديد كجواب عضويّ على الأسئلة التي تنبع من الخبرة. وإلاّ فإنّ هذا لا يكفي" ("تبعات المحبّة الجميلة"، مقابلة قام بها دافيدي بيريلّو، تراتشي، العدد 2014/8، ص 31).

لهذا يتتبّعنا دون جوسّاني مشدِّدًا على أنّه، بعد اللقاء، "لا ينبغي أرشفة الواقع لأنّنا نعلم منذ الآن [و] لدينا كلّ شيء [بمجرّد أنّنا التقينا بالربّ]. لدينا كلّ شيء، ولكن هذا الكلّ شيء نحن نفهمه [فقط] [...] في اللقاء بالظروف، بالأشخاص، بالأحداث"، كما شهدت لنا به تلك الأمّ.

إمّا أن نفهم هذا وإمّا لن يكون لكلّ التحديّات التاريخيّة التي يتعيّن علينا مواجهتها دخلٌ البتّة بمسيرتنا، لا بل إنّها ستصبح عقبة. أمّا دون جوسّاني فهو يعتبرها ثمينة لطريقنا. لدينا كلّ شيء، لكنّنا لا نستطيع أن نفهم ما هو هذا الكلّ شيء بتكرارنا التعريفات فحسب، بالانتماء الشكليّ فحسب، بل في اللقاء بالظروف. إذا كنّا لا نفهم أنّ مجمل الظروف قد أُعطي لنا من أجل إنضاجنا، واستعادة وحدتنا، فإنّنا ننسحب من هذا التدقيق. "لا ينبغي"، يصرّ دون جوسّاني، "أن نؤرشف أيّ شيء، [...] ولا أن نحذف أو ننسى أو ننكر شيئًا. [لأنّ] معنى كلّ ما لدينا، الحقيقة التي لدينا [...] ومعنى هذا الـ "كلّ شيء" نفهمه [...] في مواجهتنا الأمور، ولذلك من خلال واقع اللقاءات والأحداث، من خلال اللقاء [...] وفي الأحداث" (الأنا تولد من جديد في لقاء. 1986–1987، بور، ميلانو 2010، ص 55).

برفقته نحن آمنون في كلّ مكان

هكذا فقط يمكننا بلوغ ذلك اليقين الذي يسمح لنا بدخول كلّ شيء، أيّة ضاحية، وبدلاً من الانسياق إلى الخوف أن نتعلّق باليقين الذي يولّده فينا الربّ، لأنّ المسيحيّ، كما يقول لنا مرّة أخرى البابا في رسالته إلى لقاء ريميني (يجب العودة إليها كلّها، هذه الرسالة!)، لأنّ "المسيحيّ [الذي يعيش كما حاولنا وصفه] لا يخاف من الابتعاد عن المركز، والذهاب إلى الضواحي، لأنّ مركزه في يسوع المسيح. فهو يحرّرنا من الخوف [ليس لأنّنا نقول شكليًّا "المسيح"، فكلّنا يعلم أنّ هذا وحده لا يكفي، ولا يكفي نوع من الانتماء الشكليّ للتغلّب على التعاسة، للتغلّب على الخوف، بل يجب وجود خبرة المسيح؛ هكذا] يمكننا في رفقته أن نتقدّم آمنين إلى أيّ مكان، بما في ذلك عبر لحظات الحياة المظلمة، مدركين أنّ الربّ حيثما نذهب يسبقنا دومًا بنعمته، وفرحُنا هو تقاسم الخبر السارّ بأنّه معنا مع الآخرين. لقد عاد تلاميذ يسوع، بعد أن أكملوا مهمّة تبشيريّة، مُفعمين بالنشوة للنجاحات التي حقّقوها. لكنّ يسوع قال لهم: "ولكن لا تفرحوا بهذا أنّ الأرواح تخضع لكم؛ بل افرحوا بأنّ أسماءكم مكتوبة في السماوات" (لوقا 10،20 –21). لسنا نحن من يخلِّص العالم، الله وحده يخلِّصه" (فرنسيس، رسالة إلى لقاء ريميني للصداقة بين الشعوب، 24–30 آب/أغسطس 2014).

وحده من هو على يقين من الأساسيّ يمكنه أن يكون مستعدًّا للبحث عن أشكال وطرق لإيصال

الحقيقة التي التقاها، وإلاّ فإنّ عدم التواصل مع الآخرين سوف يكون مطلقًا. يتابع البابا قائلا إنّ "عالمًا في مثل هذا التحوّل السريع يتطلب من المسيحيّين أن يكونوا على استعداد للبحث عن أشكال وطرق لإيصال جديد المسيحيّة الدائم بلغةٍ مفهومة [ودون جوسّاني هو خير مثال على هذه الثورة في الطرق والأشكال]. هنا أيضًا علينا أن نكون واقعيّين. "أحيانًا كثيرة يكون من الأفضل إبطاء الوتيرة، ووضع القلق جانبًا للنظر في العينين والاستماع، أو التخلّي عن الأمور الملحّة لمرافقة من بقي على حافّة الشارع" (فرح الإنجيل، 46)" (المرجع نفسه).

يقول البابا أيضًا: « كم من الأشخاص في العديد من الضواحي الوجوديّة لأيّامنا هذه "متعبون ومرهقون" وينتظرون الكنيسة، ينتظروننا! كيف يمكننا الوصول إليهم؟ كيف نتقاسم معهم خبرة الإيمان، محبّة الله، اللقاء مع يسوع؟ هذه هي مسؤوليّة جماعاتنا [...]. أمام الطلبات الكثيرة من رجال ونساء، إنّنا نخاطر بالوقوع في الفزع والانغلاق على أنفسنا في موقف خوف ودفاع. ومن هنا ينشأ إغواء الاكتفاء والإكليروسيّة، تلك القوننة للإيمان في قواعد وتعليمات، كما كان يفعل الكتبة والفريسيّون ومعلّمو الشريعة في زمن يسوع. سيكون كلّ شيء واضحًا، كلّ شيء مرتّبًا، لكنّ الشعب المؤمن الذي يبحث سيظلّ جائعًا وعطشًا لله" "(فرنسيس، للمشاركين في اللقاء الذي نظّمه المجلس الحبريّ لتعزيز التبشير الجديد بالإنجيل، 19 أيلول/سبتمبر 2014).

للإجابة على هذه التحديّات، يُعيدنا البابا إلى الطريقة التي واجهها بها يسوع نفسه، فمن دون فزع أو انطواء خائف، يذهب يسوع للقاء أولئك الذين هم "تعبون ومرهقون". والمثال المعروف لهذا النوع من الأشخاص هم العشارّون، المكروهون من الجميع بسبب سلوكهم غير المتماسك. وتدفع علاقة يسوع بهم الفريسيّين والكتبة إلى التذمّر قائلين: "هذا الرجل يستقبل الخطأة ويأكل معهم". لكنّ اعتراضاتهم لا توقف يسوع. لا بل إنّه يدافع أكثر عن طريقته في التعاطي مع العشّارين بأمثال كمثل الابن الضالّ (لوقا 15،11–32)، ما يسلّط الضوء على مدى إدراكه للخطر الذي يواجهه بسبب طريقة تصرّفه. سيبقى الابن الضالّ على الدوام صورةً لمَن لا يمكنه، بعد أن يكون قد تلقّى كلّ شيء (أبًا ومنزلا وممتلكات وغيره)، مقاومةَ سحر الاستقلاليّة؛ يبدو كلّ شيء عقبة أمام شوقه للحريّة غير المحدودة، كما نرى ذلك فينا ومرّات عديدة في مواطنينا. يمكننا جميعًا تصوّر رعشة الأب أمام حريّة ابنه. رغم كلّ شيء، يخاطر الأب تجاه

حريّة ابنه. يا لهذا الحبّ لحريّة الابن، كي يتمكّن من استرداد ما كان يعرفه سابقًا من خلال تجربته الخاصّة!

ويحدث ما هو غير متوقّع. بالتحديد في الوقت الذي يكون فيه الابن أكثر ضياعًا، أي عندما يتذلّل ليأكل الخرّوب مع الخنازير من أجل البقاء على قيد الحياة، لم يكن كلّ شيء قد ضاع. لماذا؟ لأنّه بالتحديد في اللحظة التي لا يتوقّعها المرء، "يعود الابن إلى رشده". يجد الابن نفسه داخل شيء لم يضِع. بالتحديد في الوقت الأكثر ظلمةً وارتباكًا ظاهريًّا، يظهر قلبه بجلائه واحتياجاته التكوينيّة. لم تتمكّن كلّ أخطائه من محو ذكرى منزله ووالده ومستوى معيشة أُجرائه. وهذا يمكّنه من الحكم، ومن إجراء مقارنة سريعة بين وضعه السابق ووضعه الحاليّ: "كم من الأجراء عند أبي، يفضل الخبز عنهم، وأنا ههنا أهلك جوعًا!". وهكذا يمكنه أن يستعيد، من داخل خبرته، ما كان يعتقد أنّه يعرفه. يدرك أحجام حاجته وفضلَ وجود أبٍ له. يفهم أخيرًا أين تكمن الحريّة، ويكتشف أنّ الحريّة هي علاقة ومنزل وأب؛ يعترف بفضل وجود أبٍ يعانقه من جديد ويقتبله من جديد كابن. والأب بدوره سعيدٌ لرؤية كيف أنّ صبره تجاه حريّة ابنه قد سمح له باستعادته كابن، ويشعر بالامتنان والفرح لأنّ لديه ابنًا سعيدًا بكونه ابنه. وفي الوقت نفسه سوف تبقى ماثلة دائمًا أمامنا حقيقةُ أنّ مكوثًا شكليًّا في المنزل، مثل مكوث الابن الآخر، لا يعني بالضرورة أنّه فهم معنى أن يكون ابنًا وأن يكون له أب؛ فقد نمكث في المنزل، ونواصل مع ذلك التذمّر.

بالتحديد لكي يدافع عن طريقته في التعامل مع أولئك الذين يعيشون في ضواحي الشأن الإنسانيّ، كون توتّرهم وعدم صبرهم وعطشهم المضطرب إلى الحريّة قد حملهم بعيدًا، يطرح يسوع أمام قادحيه علاقة الأب هذه مع ابنه الضالّ. فبتعامله بهذا الشكل مع العشّارين، الذين فضّلوا مغادرة منزل الأب لأنّها كانت تضيق بهم، كان يسوع كما لو أنّه يقول للفريسيّين: "أنا أفعل ذلك، أخاطر وأنتظرهم لأنّ أبي يفعل ذلك". وهذا اليقين في علاقة يسوع بالآب – "أنا لستُ وحدي" – أساسيٌّ بالنسبة إليه للعيش والمخاطرة حتّى النهاية مع الذين ابتعدوا، وصولاً للسماح لهم باكتشاف مَن يكونون من داخل تجربتهم وإلى مَن ينتمون.

في زمن التحدّي هذا، المتميّز – كما قلنا في الحديث عن أوروبّا – بانهيار الوضوحات

التاريخيّة، ومن خلال عناء قاتل، من خلال الكثير من العذابات (نفكِّر من جديد بمثل الابن الضالّ)، أمام الكثير من معاصرينا الذين يصرّون على سلوك الطرق الأكثر غرابة– كما قد يحدث لنا أيضًا عندما نبحث عن الرضى عبر ملاحقة تصوّراتنا – يمكننا أن نفهم كيف أنّ السرّ يمكنه المجازفة بالحريّة لجعلهم يكتشفون هم وكلّ واحدٍ منّا مَن نحن حقًّا وإلى ماذا نحن مدعوّون. علامَ يعتمد السرّ؟ على قلوبنا وعلى حضوره، الذي صار جسدًا ليكون قريبًا منّا ويوقظ فينا الرغبة بالعودة إلى المنزل، لأنّه بالتحديد من خلال كلّ عناء يمكننا أن نكتشف ما هي الحريّة.

نحن لم نُختَر لكي نخرج من الواقع، بل لنكون أكثر داخل الظروف. لقد اختِرنا لمرافقة أيّ شخص " بقي على حافّة الطريق"، كما يقول لنا البابا. لقد استخدم الأب أنطونيو سبادارو، وهو يتحدّث في لقاء ريميني، صورةَ المشعل: "المشعل [...] يسير حيث هناك أناس، وينير ذاك الجزء من الإنسانيّة الذي يتواجد فيه. فإذا ذهبت الإنسانيّة نحو الهاوية، ذهب المشعل نحو الهاوية [ليس لأنّه يريد دفعها نحو الهاوية]، أي أنّه يرافق الناس في تطوّرهم. بالطبع، قد ينجح بهذه الطريقة بانتشالهم من الهاوية، بجعلهم يرونها. إن كنت لا تمشي مع الناس، إذا توقّفت وقلت: "الضوء هنا، نحن الخلاص، تعالوا ومن لا يرغب فليرمِ نفسه في البحر"، فأنّ هذه الصورة للكنيسة ليست "المستشفى الميدانيّ" الذي يتحدّث عنه فرنسيس. يجب مرافقة التطوّرات الثقافيّة والاجتماعيّة، ولو كانت مبهمة صعبة ومعقّدة" (أنطونيو سبادارو في "ضواحي الإنسانيّ"، حرّره إ. بيلّوني وأ. سافورانا، تحت الطبع في دار نشر بور).

لذلك فإنّ الاعتراف بأنّه تمّ اختيارنا، والإصرار على الأساسيّ، لا يتمّ لكي ينتهي كلّ شيء عند هذا الحدّ، بل لكي يبدأ كلّ شيء من هنا. يدعو البابا فرنسيس في رسالته إلى لقاء ريميني "إلى هذه العودة إلى الأساسيّ، الذي هو إنجيل يسوع المسيح"، لأنّ "المسيحيّين عليهم واجب إعلانه دون استثناء أحد، وليس كمن يفرض إلزامًا جديدًا، بل كمن يتقاسم الفرح، ويشير إلى أفق جميل، ويقدِّم وليمة مرغوب بها. لا تنمو الكنيسة عبر اقتناص البشر بل "بجذبهم" (فرح الإنجيل، 14)، أي "من خلال شهادة شخصيّة، رواية، بادرة، أو الشكل الذي قد يثيره الروح القدس في ظرف ملموس" (المرجع نفسه، 128)" (فرنسيس، رسالة إلى لقاء ريميني للصداقة

بين الشعوب، 24 – 30 آب/أغسطس 2014).

هذه هي مهمّتنا. لهذا السبب تمّ اختيارنا، كما يذكّرنا دون جوسّاني: "كان هناك العدم، انعدام كلّ شيء، ولكن، بشكلٍ أكثر تحديدًا، عدمُك أنت وعدمي أنا: تمثّل كلمة "اختيار" الحدّ، العتبة، ما بين العدم والوجود. تُزهر الكينونة، من العدم، كخيار، كاختيار [تمّ سحبنا من العدم لأنّنا اختِرنا]: ليست هناك حالة أخرى يمكن اقتراحها، ليست هناك مقدّمة أخرى يمكن التفكير بها [كما قال دافيدي في البداية]. هذا الاختيار وهذا الانتقاء هما حريّة خالصة لسرّ الله الذي يعمل، الحريّة المطلقة للسرّ الذي يعبِّر عن نفسه" (توليد آثار في تاريخ العالم، ريتسولي، ميلانو 1998، ص 63).

ويتابع دون جوسّاني قائلا: "إنّ سر الله، الذي يعبِّر عن ذاته كحريّة في الاختيار والانتقاء، يرتعش، يمكنه ويجب أن يرتعش، بخوف ورعدة، بتواضع مطلق، داخل التفضيل البشريّ، لأنّ التفضيل البشريّ هو ظلّ اختيار حريّة الله" (المرجع نفسه، ص 63–64). فالله يدعونا لكي نوصله إلى الجميع. لقد فضّلنا الله لكي يصل حبّه إلى الجميع من خلالنا. كما يقول القدّيس بولس: لقد اختارني الله لكي يُظهر في شخصي ما يريد إعطاءه للجميع. لذلك في هذا التفضيل البشريّ لله يرتعش كلّ شغفه بكلّ إنسان. ولهذا فإنّ تفضيلنا الأوّل هو تجاه من اختارني. لهذا السبب نكرِّر كلمة "امتنان" عدّة مرّات. فالاعتراف بتفضيل المسيح العظيم لنا هو الاعتراف بامتنان بهذا المكان الذي يُمنح لي باستمرار. ولكن من أجل فهم كلّ المهمّة التي يحتويها هذا التفضيل بشكلٍ عميق، علينا أوّلا الاعتراف بأنّ إجابتنا الأولى هي للذي يفضّلنا بهذا الشكل، وإدراك أنّه تعالى هو من اختارنا. حينها فقط أفهم أنّ "خيار حريّة الله، الذي ينتقي أحدًا، يختبئ كزهرة صغيرة غير مرئيّة في أحشاء السيّدة العذراء، هو خيارٌ للعالم كلّه [لذلك ليست هناك كنيسة، يقول البابا، إلا في الخروج. فالحضور الذي نحمله هو للعالم كلّه: لكلّ العالم، وليس لنطاق نقرّره نحن، باختيار من هو مناسب أم لا]. لذلك ليس هناك في الإنسان انعكاسٌ متواضع، ممتلئ خوفًا ورعدة، وتفضيل، إلا لمحبّة العالم، للفائدة التي يحملها للعالم، للشغف بالعالم. عجيبةٌ هي هذه المفارقة السامية للتفضيل الذي يختار وينتقي ليعانق العالم، ليجرّ معه العالم. يتطابق الاختيار والانتقاء، في تحقّق التفضيل، مع محبّة تركّز على كلّ واقع

حيّ، على كلّ إنسان حيّ، على كلّ جسد" (المرجع نفسه، ص 64). يتيح لنا تفضيل السرّ أن ننظر إلى كلّ شيء، حتّى إلى الحالة الأكثر مأساويّة، بِـ "نظرة مُفتداة"، كما قال الأب بيتزابالا في لقاء ريميني (راجع ضواحي الإنسانيّ، المرجع السابق).

ولكن من يستطيع أن يقول هذا؟ من يستطيع أن يفضِّل هكذا؟ من يستطيع أن يحبّ هكذا؟ من يستطيع أن يحبّ كلّ جسد؟ أنا أستطيع أن أفضِّل فقط إذا ما أدركت أنّني فُضّلت وأنّني مُفضَّل، إذا عشتُ من هذا التفضيل، إذا كان هذا التفضيل يجعلني أفيض لدرجة يصبح فيها مثعديًا، ويجعلني قادرًا على تفضيل الجميع، وعلى جرّ آخرين. هكذا بالذات نستطيع أن نجازف، لأنّ من لا يجازف، لا يمكنه استرداد كلّ هذا اليوم والوصول إلى وحدة الحياة تلك التي نرغبها جميعًا.

ملخصات:

هناك سببٌ واحد تساعد البداية من أجله على عدم فقدان لذّة المسير، وهو لأنّ هناك دائمًا في البداية معيارَ كلّ شيء. البداية هي عطيّة، هي مؤاثرة، والعلامة الكبرى على العلاقة بمن أرادنا

في تلك الخبرة الجدّ بسيطة والأوّليّة، التي في متناول كلّ إنسان، في أيّ وقت، في أيّ مكان، وتحت أيّ ظرفٍ من الظروف، هناك النهج كلّه. حضور يجعلني أكون

ثمّ، مع مرور الوقت، بعد سنوات من الانتماء، يأتي السؤال المأساوي: "والآن؟". والآن؟ أيُّ انتماء يحتاج – شئنا أم أبينا – إلى المرور بتدقيق الجهد اليوميّ

إنّ اللقاء مع ذاك الحضور الأسمى الذي يجعلني أكون، لنقُلها مع دون جوسّاني، "يبعث الشخصيّة، ويجعلنا نُدرك أو ندرك من جديد، يجعلنا نكتشف معنى كرامتنا، وكرامة شخصيّتنا

ولكن من يمكنه أن يطالبنا باتّباعٍ كهذا؟ الله وحده. وحده الذي يدعونا. لهذا فإنّ السؤال الحاسم يكمن في فهم كيف يدعونا الله، لأنّنا بخلاف ذلك نتحدّث عن الله بشكلٍ مجرّد

لدينا كلّ شيء، لكنّنا لا نستطيع أن نفهم ما هو هذا الكلّ شيء بتكرارنا التعريفات فحسب، إذا كنّا لا نفهم أنّ مجمل الظروف قد أُعطي لنا من أجل إنضاجنا، واستعادة وحدتنا، فإنّنا ننسحب من هذا التدقيق

يمكننا جميعًا تصوّر رعشة الأب أمام حريّة ابنه. يخاطر الأب تجاه حريّة ابنه. يا لهذا الحبّ لحريّة الابن، كي يتمكّن من استرداد ما كان يعرفه سابقًا من خلال تجربته الخاصّة!

الله يدعونا لكي نوصله إلى الجميع. لقد فضّلنا الله لكي يصل حبّه إلى الجميع من خلالنا. في هذا التفضيل البشريّ لله يرتعش كلّ شغفه بكلّ إنسان